القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

# موسى والرجل الصالح

عبد الحميد جودة السحار

١٣

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

# موسى والرجل الصالح

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

# ١

تفَرَّقَ بنو إسرائيلَ فى الصَّحراء ، بسببِ عِصيانهم لأوامِرِ اللّه ، وتاهُوا فى الرِّمال ، فلم يَعُدْ أحدٌ منهم يَعرِفُ مكانَ أخيه .

أمَّا موسى فسارَ ومَعهُ فتىً من قومِه ، كانَ يتابِعُه دائِما ، ويُساعِدُه فى قضاءِ حوائِجِه ، وتَحضيرِ طعامِه وشرابِه .

وكانَ اللّه قد وعَدَ موسى أنْ يَجْمَعه برجُلٍ صالحٍ عالمٍ ، يُعلِّمُه أشياءَ كثيرةً لا يَعلَمُها ، وأخبرَه أنَّه سيَلقَى هذا الرجلَ عندَ مجمَعِ البحرَين ، أى فى الجِهةِ التى يلتَقِى فيها البحرُ الأحمر بالتُّرعة الخارجة من فرع النيل .

فقال موسى لفتاه : لا بدَّ أن أسير وأسيرَ حتى

أصِلَ إلى مَجْمَعِ البحرَين . حتى ولو ظَلَلْتُ أسيرُ أعوامًا طويلة .

ثم سارا ، وسارا ، وسارا .

وكان الغُلامُ قد اصطادَ حُوتًا من السمك ، ليصنعَ منه غداءً لموسى ولنفسِه ، فلمَّا وصلا إلى نُقطَةِ التقاء البَحرَين ، وجدا هناكَ صخرةً كبيرة ، فَجَلَسا عليها يستريحان ، ووضَعَ الفتى حُوتَه بجانِبه ونَسِيَه ، فتسَرَّبَ إلى البَحرِ ودبَّت فيه الرُّوح وغاص .

وانتظَرَ موسى فلم يجِدْ ذلك الرجلَ الصالِحَ العالِم ، فقامَ يمشي ومَعَه فتاه ، يبحثُ عنه هنا وهناك ، حتى ابتعَدا عن مَجْمَعِ البحرين .

ولَمَّا أَحَسَّ موسى الجوعَ والتعب ، جلس يستريح .

« قال موسى لفتاه : آتِنا غَداءَنا ، لقَد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا » .



عندئذ تذكَّرَ الفتى أنَّه نَسِيَ الحُوتَ عِندَ الصخْرة .

« قال : أرأيتَ إذ أَوَيْنا إلى الصَّخْرة ؟ فإني نَسيتُ الحُوتَ . وما أنْسانِيهُ إلا الشيطانُ أن أذْكُرَه . واتَّخَذَ سبيلَه في البحر عَجَبا .. » .

ووقف الفتى خَجلا .

أمَّا موسى فقال في نفسِه : لا بُدَّ أنَّ اللّهَ يُريدُ أن نرجِعَ إلى مَجْمَعِ البحرينِ ، لأَلْقَى ذلك الرجُلَ الصَّالِح . فَسُرَّ في نفسِه ، وطمأَنَ الفتَى ! قال : « ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ » .

وعادا إلى مجمع البحرين ، وعندَ الصَّخْرَةِ نظَرَا فوَجَدا ذلكَ الرَّجُلَ الصَّالِح الطَّيِّب القلب ، الرَّحيم العالِم ، الذى وَعَدَ اللّه موسَى بِلقائِه .

« قال له موسى : هل أَتَّبِعُكَ على أنْ تُعَلِّمَنى مما عُلِّمْتَ رُشْدا ؟ »

« قال : إنَّك لنْ تستطيعَ معِيَ صَبْرا ، وكيف تَصْبِرُ على ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرا ؟ » .

« قال : ستجدُنى إن شاءَ اللّه صابرًا ولا أعصى لكَ أمرا » .

قال الرجُلُ الصالِح : إذا كُنتَ ستَتّبِعُنى فلا تسألْنِى عن أىِّ شىءٍ ترانى أعْمَلُه إلاَّ إذا حَدَّثْتُك أنا عنه .

## ٢

سارَ الرَّجل الصالِح وموسَى معه ، حتى وصَلا إلى مكانٍ ترْسُو فيه المراكِب ، فَركِبَ فى سفِينةٍ منها ، وركِبَ موسى معه .

وبينما السَّفينةُ فى وسَطِ الماء ، إذْ نظَرَ موسى ، فَوَجَدَ الرجلَ الصَّالِحَ قد أخَذَ مِسمارًا ومِطْرَقة ، وأخذَ يَخْرِقُ السفينة ، حتى أحدَثَ فيها ثُقْبا .



فَزِعَ موسَى وخافَ على المركب أن تَغرق ، وتوجَّهَ إلى الرجلِ يسألُه فى حَيرة : « قال : أخرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهلَها ؟ » لقد فَعَلْتَ فعلا رَدِيئًا فظيعا !

لم يَغضَبِ الرجلُ ولم يَكشر ، ولكنّه قال :

« ألم أقلْ : إنّكَ لنْ تَستَطِيعَ مَعِىَ صبرا ؟ »

عندَ ذلك تَذَكّر موسى أنَّ الرجلَ شَرَطَ عليه ألاَّ يتكلَّم عن شىءٍ مما يراهُ أو يَسْمَعُه مما يعمَله الرجل ، إلا إذا حدَّثَه هو عنه . فَخَجِلَ واستَحيا .

« قال : لا تُؤاخِذنى بما نَسيت » .

ووعَدَه مرةً أُخرَى أن يسكُتَ ، فلا يَتكَلّمَ ولا يسألَ أبَدا .

ونَزَلا من السَّفينَة ، وتركاها تَسير ، وسارا فى طريقِهِما .

وبينَما هما يسيرانِ إذْ وجَدَا غُلامًا صغيرًا يلعَب ،

فأَمْسَكَ به الشَّيخُ وقَتَلَه .

رأى موسى هذا الفِعل ، فغَضِبَ غَضَبًا شديدا ، كيف يقتُلُ الرجلُ هذا الطِّفلَ البرىء ، الذى لم يفعَلْ ذنْبا ؟ ونَسِيَ الشَّرط ، ولم يَعُدْ يستَطيعُ السكوت ، فصرخَ في الرجل :

« قال : أقَتَلْتَ نَفسًا زكِيَّةً بغَيرِ نفس ؟ لقدْ جئْتَ شَيئًا نُكْرا » . أى لقد عمِلتَ ذنبا عظيما ، حينَ قَتلْتَ هذه النَّفسَ الطاهِرةَ التى لم تَقتُلْ أحدا .

فلم يغضَب الرجل ، ولم يكشِّرْ ، ولكنه قال :

« ألم أقُلْ لكَ : إنَّكَ لنْ تَستَطيعَ معِيَ صَبرا ؟ » .

عند ذلك خجلَ موسى خجلا عظيما ، وعَزَمَ على ألاَّ يتكلَّمَ بعدَ الآن ، وإذا تكلَّمَ فإنَّ الرجلَ يكون معذورا إذا فارَقَه ، ولم يُصاحِبْه ، قال :« إنْ سألْتُكَ عن شيء بعدَها فلا تُصاحِبْنى ، قدْ بلَغتَ من لَدُنِّى



عُذْرا » .

وسارا فى طريقهما .

وظلاَّ سائِرَين حتى دَخلا قَرْية ، ولم يكن معهُما طعامٌ ولا نُقود ، وقد جاعَ موسى وجاعَ الفَتى الذى معه . فتقَدَّمَ الرجلُ ومعه موسى إلى أهلِ القريةِ يَطلُبان طعاما ، ولكن أحدًا لم يُرِدْ أن يُعْطِيَهُما شيئا ، واشتدَّ عليهما الجُوع ، وكلَّما سألا واحِدًا من أهلِ هذِه القريةِ قال : نحنُ لا نُعطِى طعامَنا بلا ثَمَن . فاذهَبا فَلَن نُعطِيَكُما .

وبينما هو يسيرانِ فى المدينة إذْ وجَدا جِدارًا مائِلا ، يريدُ أن يَنْهَدِم ، فقَرُبَ الرجلُ من الحائط ، وكوَّمَ الترابَ حولَه ، وجاءَ بالماء وعَجَنَه حتى صارَ طِينا . وأخذَ يُرَمِّمُ هذَا الحائِطَ ويُقَوِّيه ، وموسى يُساعِدُه وهو ساكِت ، حتى انتهى من عملِه ،

وأصبحَ الجدارُ متينًا لا يسقُط .

وعندَما أرادَ الرجُلُ أن ينصَرِفَ قالَ موسَى : الآنَ وقَدْ رَمَّمْتَ هذا الجدارَ فى تلك القرية ، التى لا نجِدُ فيها طعامًا ولا نقودا .. ألا تستطيعُ أن تطلُبَ أجرًا على هذا العمل ! إنّك لو شئتَ لاتّخَذْتَ عليه أجرا .

ونظَرَ الرجلُ إليه وهو يبتسم ، « قال : هذا فِراقُ بينى وبينِك ، سَأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لم تستَطِع عليه صبْرا » أى سأُخبِرُكَ عن سرِّ هذه الأشياء التى لم تتمكّن من الصّبر عليها .

## ٣

جلسَ الرجلُ كالمُعلّم ، وجلسَ موسى أمامَه كالتلمِيذ ، وأخَذَ الرجلُ يشرحُ سرَّ هذه الأعمالِ الثلاثةِ العجيبة ، التى قام بها وموسى لا يَعرِفُها .



قال : أتذكُرُ تلكَ السَّفينة التى خَرَقتُها ونحنُ فى وسطِ البحر ؟

قال موسى : نعم ، وقد كِدْتَ تُغرِقُنا ، ولا بُدَّ أنها غَرِقَتْ فى الطريق .

قال : هذه السفينة يَملِكُها جماعةٌ من المساكين ، يعمَلونَ فى البحر ، ويرتَزِقُونَ منها ، وكان فى طريقِهم مَلِكٌ ظالِمٌ يأخذُ كل سفينةٍ صالِحةٍ غَصْبا ، وقد أعلَمَنِى ربِّى أنَّ هؤلاءِ المساكين سيظَلُّونَ سائِرينَ حتى يصِلُوا إلى أرضِ ذلكَ الملك الظالِم ، الذى يأخ السُّفُنَ السَّليمةَ بالغَصب ، فأرَدْتُ أن أعيبها بهـ الخَرْق الذى خرقْتُهُ حتى إذا رآها المَلكُ الظالم مخرُو لم يأخذْها ، وتَركها لهم لِيَعيشوا منها .

قال موسى : معكَ حقّ . اعذُرنى إنّنى لم أكـ أعرِفُ ما تعرِفُه أنت ، مما علّمَك ربُّك ، ولكن ه

ذنبُ هذا الغلامِ البرىء الذى قتلْته ؟

قـال الرجـل : لقـد أعْلَمَنـى ربـى أنَّ والِـدَىْ هـذا الغُلامِ طَيِّبان ، أمَّا هو فوَلَـدٌ شِـرِّير ، وإذا كـبرَ كـان كـافِرا ، وسبَّبَ لوالِدَيـه الطَّيِّبَـين مصـائب كبـيرة ، بسببِ كُفرِه وظُلْمِه ؛ وقَدْ أرادَ اللّـه أن يمـوتَ هـذا الغلام الشرير ، لـيرزُقَ والِدَيـه خيرًا منـه وأصلَـح ، ولهذا قتَلْتُه كما أرادَ ربِّى .

قال موسى : معَـكَ حـقّ ، اعذُرنـى فـإنّنى لم أكُـن أعرفُ مما تعرِفُه أنت ، مما عَلَّمَك ربُّكَ .. ولكن لمـاذا تركْتَنا بالجُوعِ ولم تأخُذْ أجرًا على الجدار الذى أقَمْتَه ورَمَّمْتَه ، فى تلـك البلْـدَة البخيلـة ، التـى لم تُطعِمنـا ونحنُ جِياع ؟

قال الرجل : « أمَّا الجِدارُ فكان لغُلامَينِ يتيمَينِ فى المدينة ، وكانَ تحته كنز لهما ، وكان أبوهُما صالِحا ،



فأرادَ ربُّكَ أن يبلُغَا أشُدَّهُما ، ويستَخْرِجا كنزَهُمـا » ولو أنّنى تركتُ الجِدار يتهدَّم ، لَظَهَرَ هذا الكنزُ تحته، ونَهبَه أهلُ القَرية من الغلامَين الصغـيرين ، اللّذيـن لا يقدِران على حماية مالِهمـا ، أمَّـا الآن فَسَـيبقَى الكَـنزُ تحتَ الحائِط حتى إذا كـبر الغلامـان ، وصـارا شـابَّين قويَّين ، فإنّما سيُخرِجانِ الكَنز ، وينتفعان به .

وهكذا أرادَ اللّه ، وما فَعَلتُ شيئا مما فعلته إلا بأمرِ اللّه . وهذا تفسيرُ تلكَ الأعمـال التى لم تستطِع أن تصبرِ عليها يا موسى .

## ٤

رفعَ موسى وجهَه إلى السَّماءِ ، لِيشـكُرَ اللّه علـى نِعمَتِه ، بلقاءِ هذا الرجل الصالح الـذى علَّمَـه أشياءَ

كثيرةً لم يكــنْ يعلَمُهــا : علَّمَــه كيــفَ يصــبِرُ ولا يغضَب ، ولا يلومُ النّاس على الأشياءِ التــي لا يعـرِفُ سِرَّها ، بل يســألُ أوَّلا ليعْـرف لماذا صنعُوهـا ، فقـد يكونُ لهم عُذرٌ فيها ، وربَّما كانت نيَّتهــم حَسَنةً ولا يَقصِدونَ بها شرًّا .

وعَلَّمَه أنَّ الإنسانَ لا يَجُوزُ أن يغْتَرَّ بنفسِـه ، فيَظُـنَّ أنَّه يعرِفُ كلَّ شـيء ، وأنَّـه لا يُوجَـدُ مَـن هـو أعْلَـمُ منه ، ومن يعرِفُ أكثَرَ مما يعرِف ، وأنَّه يجبُ عليــه أن يسأَلَ ليتعَلَّم ، لأنَّ هناكَ مَن هو أعْلَمُ منه .

وعَلَّمَه أنَ الإنســانَ لا يعـرِفُ أشـياء كثـيرة ، وأن اللّـه وحْـدَه هـو الـذى يعلـمُ جميـعَ الأشــياء وجميــعَ الأخبار ، وأنَّ اللّه يصنَعُ للناسِ أشياءَ كثيرة تُفيدُهم ، ولكنهم هم قد يَجهَلُونَ لماذا يصنَعُها اللّه لهم ، لأنهــم لا يعلَمونَ سِرَّ هذه الأشياء . وقد يظُنُّونَ أنَّها أعمـالٌ



ضارَّة ، ولكنَّهـا فـى الحقيقـة تكـونُ نافِعَـة : كَخَـرْقِ السَّفينةِ وقَتْلِ الغُلامِ الشِّرِّير .

وعَلَّمَه أنَّ الإنسانَ يجبُ أن يعمَلَ الخَيرَ حتّـى من غيرِ أجرٍ عليه ؛ لأنَّ هذا الخَيرَ يُفيدُ بَعضًـا آخَـرَ من الناسِ الطَّيبين ، كما صنَعَ الرجلُ الصالِحُ فـى تَرميـم الجِدارِ الذى كان يُريدُ أن ينقَضّ .

... ثم نظرَ موسـى إلى جانِبـه ، فلـمْ يَجـدْ لـلرَّجلِ الصالِح أثرا ، أينَ ذهبَ ؟ كيف اختَفى ؟ عِلْمُ ذلـك عندَ اللّه ، ولا يعلَمُ أحَدٌ إلا اللّه .